

معايير في نقد الشعر أثره في التحيف من المادة اللغوية ، ومباعدة الشعر عنها . فقد مالت بهم سليقة أصحاب الدواوين إلى ما يشبه التنقيح الاجتماعي للغة ، فاصطفوا منها ما يلائم أذواقهم من متخير اللفظ ، ومنتخب المعاني والكلام الذي له رونق وماء ، ثم أرادوا أن يستأثروا بعلم الشعر ، فأخذوا ينتقصون من الرواة واللغويين ، وقد استطار في هذا الباب قول الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فسألت الأخفش فلم يعرف إلا إعرابه ، فسألت أبا عبيدة فرأيت لا ينفذ إلا فيما اتصل بالأخبار ، ولم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب (١) .

وراجت بضاعة أدباء الكتاب عند النقاد والبلاغيين من بعدهم ، فكان المعول في بحث الشعر على ما قرره من مقاييس تشبه أن تكون تعليمية . وهذا قدامة بن جعفر يذهب في كتابه « نقد الشعر » إلى أن الكلام في نقد الشعر ، وتخليص جيده من رديئه ، وهو ما أدار عليه الكتاب ، أولى بالشعر من أقسام العلم الأخرى ، ومنها علم الغريب ، والنحو ، وأغراض المعاني ، لأنه محتاج إليه في أصل الكلام العام للشعر والنثر ، وليس هو بأحدهما أولى منه بالآخر (٢) .

والثنائية التي آلت إليها اللغة في قضية اللفظ والمعنى لم تكن الغاية التي انتهت إليها القسمة عند البلاغيين ، ففي القول بالمعاني الأول ، والمعاني الثواني ، ما يوحى بأن الكلام يتألف من أكثر من طبقتين ، ويريدون بالمعاني الأول مدلولات التراكيب ، وبالمعاني الثواني

(١) انظر الراجسي : تاريخ آداب العرب ١ / ٤٢١ .

(٢) مقدمة نقد « الشعر » لقدامة ط الحانجي .